الحديث الأول: ((وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه))

بحث في مشكل الحديث

إعداد / مها مصطفى توفيق إبراهيم

قسم الفقه وأصوله

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

Arwaroka22@yahoo.com

خلاصة—هذا البحث يبحث في الحديث الأول: ((وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه)).

الكلمات الافتتاحية: الحديث الأول، وما تقرب العباد إلى الله، بمثل ما خرج منه.

I. *المقدمة*

التعرف على الحديث الأول: ((وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه)).

II. موضوع المقالة

تخريج الحديث: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه))، قال أبو النضر -أحد رواة الحديث: يعني القرآن.

رواه الترمذي، وأحمد، وقال الترمذي : " حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك، وقد رُوي هذا الحديث عن زيد بن أرطأة عن جبير بن نفير، عن النبي صلى الله عليه وسلم ". وقال البخاري في (خلق أفعال العباد): "لا يصح لإرساله وانقطاعه".

وضعفه الألباني، انظر: (السلسلة الضعيفة).

ووجه الإشكال في هذا الحديث: قوله: ((ما خرج منه))؛ حيث توهّم المعطلة من الجهمية والمعتزلة ونحوهم أنه منفصل عنه، وبالتالي هو مخلوق، هكذا زعموا، ولا حجة لهم في ذلك بحال؛ لأن قوله ((خرج منه)) لا يعني: أنه انفصل عنه كما ادعوا، وإنما المقصود أنه سُمع منه الكلام الذي تكلم به، وهو القرآن الكريم.

فقوله في الحديث: ((ما خرج منه)) المراد به أنه هو المتكلم به، ولم يبتدئ من غيره، فهو المتكلم بالقرآن، والقرآن كلام الله غير مخلوق، فـ "من" هنا لابتداء الغاية، والضمير يعود إلى الله -جل وعلا- فهو الذي بدأه وتكلم به، لم يكن من غيره ولم يبدأ من غيره؛ لأن الجهمية يقولون : كلام الله، لكنه بدأ من غيره، ففي قصة موسى يقولون : بدأ من الشجرة، والشجرة هي التي تكلمت، أو من ملك، فهو الذي تكلم، وهم بهذا كاذبون مكذّبون للقرآن الكريم، مكذّبون لما عليه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون.

ودليل ذلك في القرآن الكريم كثير جدًا لا يكاد يُحصى، بأن القرآن تكلم به الرب -جل وعز، فـ"من" هنا لابتداء الغاية.

فـ"من" في هذه الآيات كلها وما يشابهها تفيد ابتداء الغاية، وهذا بيّن الدلالة، واضحٌ في المراد من قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما خرج منه)).

ويعبِّر بعض السلف عن هذه الكلمة بقولهم: منه بدأ، كما قال سفيان بن عيينة : "سمعت عمرو بن دينار، يقول : أدركت مشايخنا، والناس، منذ سبعين سنة، يقولون : القرآن كلام الله، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود " رواه محمد بن جرير، وهبة الله بن الحسن، الطبريان في كتاب (السنة) لهما.

وقد أدرك عمرو بن دينار أبا هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا يدل على شهرة القول بذلك، في زمن الصحابة { الذين أدركهم عمرو بن دينار، على شهرته عند التابعين، وأنهم كلهم على ذلك.

ومرادهم بهذه العبارة : " مِنْهُ بَدَأَ " أَيْ: هُوَ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُ مِنْ لَدُنْهُ، ولم يخلقه في غيره كَمَا تَقُولُهُ الْجَهْمِيَّة؛ أَنَّهُ خُلِقَ فِي الْهَوَاءِ أَوْ غَيْرِهِ وَبَدَأَ مِنْ غَيْرِهِ.

ومرادهم أيضًا من هذه العبارة : أن الكلام صفة الله عز وجل فالمتكلم إذا خرج منه الكلام هل يخرج مخلوقًا أو صفة له؟ صفة له؛ هل يخرج الكلام الذي منهم خُلق وعين أم أن الكلام صفة له، وإن تكلم به وظهر منه؟! الكلام صفة له، وإن ظهر منه وخرج منه، لكنه يكون على وجه الصفة.

المراجع والمصادر

١. الطحاوي، أبو جعفر الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق :شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ١٩٩٤م.
٢. الأصبهاني، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، مشكل الحديث وبيانه، حلب، دار الوعي، ١٩٨٢م.
٣. موسوعة علوم الحديث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٤. الزركشى، بدر الدين الزركشى، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.
٥. الغنيمان، عبد الله الغنيمان ، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، المدينة المنورة، مكتبة الدار السلفية، ١٤٠٥هـ.
٦. بن منبه، همام بن منبه ، صحيفة همام بن منبه ، شرح وتحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ١٩٨٥م.
٧. الدينوري، شهدة بنت أحمد بن فرج الدينوري ، العمدة في مشيخة شهدة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م.
٨. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
٩. أبو شهبة، محمد بن محمد أبو شهبة ، دفاع عن السنة ، مكتبة السنة، ١٩٨٩م.
١٠. عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، دار القرآن الكريم، ١٩٨٦م.
١١. الأعظمي، محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين ، مكتبة المجلس، ١٩٨٢م.